فكرة التسوية في الساحة الفلسطينية

الولادة العسيرة في العام ١٩٧٤

فيصل حوراني

كاتب فلسطيني

لا شك في ان أي قبول من الجانب الفلسطيني بأية تسوية لقضية فلسطين انما ينطوي على استعداد للتنازل عن جانب من حقوق الشعب الفلسطيني في وطنه المغتصب، وهو تنازل قد يصير كبيراً أو صغيراً، مؤقتاً أو دائماً، وذلك وفق طبيعة التسوية المنشودة أو المتيّسرة. ولا شك، ايضاً، في ان تنازل المظلوم عن حقه هو من أشقّ الامور على نفسه. وهذه مشقة لا يقلل من قسوتها أن تُفرض التسوية على هذا المظلوم، أيضاً، أو ان يندفع اليها بارادته نتيجة تقديره لواقع الحال وحرصه على انقاذ ما يمكن انقاذه. ويصبح التنازل أشدّ قسوة على النفس حين يقترن باضطرار المظلوم الى الاقرار بشرعية ما لحق به من ظلم ويتعذر ابرام التسوية دون هذا الاقرار. وكما هو الامر في الحالة الفلسطينية، يصبح التنازل عن جزء من الحقوق الوطنية أشقّ على النفس حين يتعذّر الوصول الى تسوية دون اعتراف الجانب الفلسطيني باسرائيل واقراره بحقها في الوجود والقبول بتطبيع العلاقات معها. ولعلّ في هذا بعض ما يفسّر حقيقة تشبث شعب فلسطين وممثليه بحقوقه الكاملة في وطنه على مدى عقود طويلة، بالرغم من توفّر المعطيات التي كانت تظهر ان من تمام العقل اتخاذ موقف ايجابي من موضوع التسوية، واغتنام هذه الفرصة او تلك من الفرص السانحة. كما لعلّ في هذا ما يفسّر، أيضاً، حقيقة ان وصف انسان أو جهة أو فصيل بأنهم ميّالون للتسوية ظلّ، لوقت طويل، من أشنع التهم التي توجه الى فلسطيني، وان أوقاتاً طويلة انقضت وساد فيها الاعتقاد بأن الدعوة الى التسوية تعادل التحريض على الخيانة.

يقال هذا الكلام كي يساعد على وضع اليد على سبب هام من الاسباب التي جعلت الغالبية الساحقة من أبناء الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية رافضة، بالمطلق، لأية تسوية من أي نوع، وأخّرت تبلور الموقف القابل بالتسوية، وجعلت ولادته على الساحة الفلسطينية شديدة العسر. ويقال هذا الكلام ليفسّر، أيضاً، لماذا تعسّر، كذلك، تبلور الواقعية السياسية في الفكر السياسي الفلسطيني، بالرغم من توفّر معطيات كثيرة كانت تدفع دفعاً حثيثاً نحو هذا التبلور. ان الحديث يشير، هنا، الى المعطيات ذاتها، تقريباً، التي جعلت أطراف حركة التحرر الوطني العربية، بمعظم فرقائها من اليسار واليمين، تسبق الفريق الفلسطيني في الاتجاه الى التسوية، فيبدو الامر، حين يصل الفلسطينيون الى الاقتناع بالاتجاه ذاته، وكأنهم مرغمون على الرضوخ القسري للمحيط العربي